وَاصْبِرْ نَفْسَكَ!

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ

وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ

إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،

وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوْصِيْكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ، فَالتَّقْوَى تَطْرُدُ الأَحْزَانَ عَنِ الأَرْوَاحِ، وَتَنْقُلُهَا إِلَى بَلَادِ الأَفْرَاحِ! ﴿فَمَنِ اتَّقَى

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ، جَمَعَتْ قَانُونَ الْمُصَاحَبَةِ وَالْمُجَانَبَةِ، وَالعُزْلَةِ والْمُخَالَطَةِ؛ إِنَّهَا آيَةُ الكَهْفِ! يقول البِقَاعِي: (مَنْ أَرَادَ قَانُوْنًا

عَظِيمًا لِمَنْ يُصَاحِب وَمَنْ

يُجَانِب؛ فَعَلَيْهِ بِآيَةِ الكَهْفِ:

﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ

ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾)[1].

فِي هَذِهِ الآيَةِ: يَأْمُرُ ﷻ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَحْبِسَ نَفْسَهُ مَعَ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: أَيْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِه. قال المُفَسِّرُونَ:

---

[1] نظم الدرر (22/ 436).

(**الغَدَاةُ**: اسْمُ الوَقْتِ الَّذِي بَيْنَ الفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

وَالعَشِيُّ: هو المَسَاءُ. وَالمَقْصُودُ أَنَّهُمْ يَدْعُوْنَ اللهَ سَائِرَ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ)[2].

﴿**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾: وَصَفَهُمُ اللهُ بِكَثْرَةِ العِبَادَةِ وَالإِخْلَاصِ

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور (15/ 305). باختصار

فِيْهَا، فَهُمْ يُرِيْدُونَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَة، لا عَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الفَانِيَة!

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: الأَمْرُ بِـ**صُحْبَةِ الأَخْيَار**، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ على صُحْبَتِهِمْ (وَلَو كَانُوا فُقَرَاءَ ضُعَفَاء)؛ فَإِنَّ في

صُحْبَتِهِمْ مِنَ الفَوَائِدِ مَا لا يُحْصَى![3] قال الفُضَيْلُ: (مَنْ أَرَادَ عِزَّ الآخِرَةِ؛ فَلْيَكُنْ مَجْلِسُهُ مَعَ المَسَاكِيْنِ)[4].

وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: في فُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ، لَمَّا طَلَبَ صَنَادِيدُ

---

[3] انظر: تفسير السعدي (475).

[4] اختيار الأُولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ابن رجب (198).

الكُفَّارِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ

يَطْرُدَهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَأَنْ

يُجَالِسَهُمْ بِدُونِ حُضُورِ أُولَئِكَ

الفُقَرَاءِ؛ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ، وَازْدِرَاءً

بِهِمْ![5] حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: (إِنَّكَ

لَوْ جَلَسْتَ فِي صَدْرِ المَجْلِسِ،

وَنَحَّيْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ؛ جَلَسْنَا

[5] انظر: أضواء البيان، الشنقيطي (3/ 263).

إِلَيْكَ، وَأَخَذْنَا عَنْكَ!)[6]**؛ فَنَهَاهُ**

اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَبِّرَ

نَفْسَهُ فِي الجُلُوسِ مَعَ

الصَّالِحِيْنَ[7]. قال ابنُ عاشُور:

(هَذَا تَعْرِيضٌ بِحَمَاقَةِ سَادَةِ

المُشْرِكِينَ: الَّذِينَ جَعَلُوا هَمَّهُمْ

---

[6] تفسير القرطبي (10/ 390).

[7] انظر: تفسير ابن كثير (5/ 137).

وَعِنَايَتَهُمْ بِالأُمُورِ الظَّاهِرَةِ، وَأَهْمَلُوا الِاعْتِبَارَ بِالحَقَائِقِ؛ فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الفَضْلِ وَالعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، وَالقُلُوبِ النَّيِّرَةِ، وافْتَخَرُوا بِجَاهِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَاحْتَقَرُوا الفُقَرَاءَ!)[8].

[8] التحرير والتنوير (15/ 305، 340). بتصرف

﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أَيْ لَا تَصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِيْنَ (وَلَوْ كَانُوا مِنَ الفُقَرَاءِ المُسْتَضْعَفِيْنَ)[9]؛ فَإِنَّ التَّطَلُّعَ إِلى الأَغْنِياءِ المُتْرَفِيْنَ، سَبَبٌ لِلتَّعَلُّقِ بِالدُّنيا،

[9] انظر: تفسير الطبري (15/ 237-238).

وَالِافْتِتَانِ بِهَا! ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ مَبْدَأَ الْمُصَاحَبَةِ، وَمِعْيَارَ الْمُفَاضَلَةِ؛ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَلَى تَقْرِيبِ

أَهْلِ التَّقْوَى (مَهْمَا بَلَغُوا مِنَ الضَّعْفِ وَالمَسْكَنَةِ!).

قال ﷺ: (**لا تُصَاحِبْ إِلا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلا تَقِيٌّ**)[10].

وَمِنْ قِلَّةِ العَقْلِ، وَغَفْلَةِ القَلْبِ: أَنْ تَكُوْنَ الصَّدَاقَةُ مُرْتَبِطَةً

[10] رواه الترمذي (2395)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (7341).

بِالمَظَاهِرِ والشَّكْلِيَّات؛ فَإِنَّ

(النَّجَاحَ والفَلَاحَ) لَيْسَ بِكَثْرَةِ

المَالِ، أو بِشَرَفِ النَّسَبِ، أو

بِجَمَالِ الجَسَدِ، أو بِقُوَّةِ النُّفُوْذِ،

أو بِكَثْرَةِ الأَتْبَاع! فَفِي

الحَدِيْثِ: (إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى

صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)[11].

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: الثَّنَاءُ العَاطِرُ عَلَى المُحَافِظِيْنَ على الجَمَاعَةِ في المَسَاجِدِ، وَالصَّبْرُ على مُلَازَمَتِهَا مع المُصَلِّيْنَ، لا سِيَّمَا في صَلَاةِ الفَجْرِ والعَصْرِ!

---

[11] رواه مسلم (2564).

قال المُفَسِّرُونَ -في قَوْلِهِ تَعَالى:

﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾-: (هُم المُحَافِظُونَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الجَمَاعَةِ. والغَدَاةُ وَالعَشِيُّ: هُمَا صَلَاةُ الصُّبْحِ والعَصْرِ)[12].

[12] تفسير الطبري (9/ 264-265). بتصرف

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ أَكْثَرَ أَتْبَاعِ الحَقِّ وَالرِّسَالَاتِ؛ هُم **الضُّعَفَاءُ والمُسَاكِين**[13]؛ لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِيْنَ يَتَوَاضَعُونَ لِلْحَقِّ، مِمَّنْ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْه! كما قال تعالى عَنْ قَوْمِ نُوْحٍ عليه السلام:

---

[13] كما ثَبَتَ في الأَثَرِ، عِنْدَمَا سَأَلَ هِرَقْلُ أَبَا سُفْيان -عن النبي ﷺ-: (**وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ: أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ، فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ**). رواه البخاري (7)، ومسلم (1773).

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾. قالَ ابْنُ رَجَب:

(مَحَبَّةُ المَسَاكِيْنِ: تُوْجِبُ

إِخْلَاصَ العَمَلِ للهِ؛ لِأَنَّ نَفْعَهُمْ

فِي الدُّنْيَا لا يُرْجَى غَالِبًا، كما أَنَّ

مُجَالَسَتَهُمْ تُزِيْلُ الكِبْرَ، فَالمُتَكَبِّرُ

لا يَرْضَى مُجَالَسَةَ المَسَاكِينِ،

حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لا يَشْهَدُ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ؛ خَشْيَةَ أَنْ تُزَاحِمَهُ المَسَاكِيْنُ فِي الصَّفِّ!

وَكَمَا رَفَعَ اللهُ دَرَجَاتِ بَعْضِهِمْ فِي الدُّنْيا، فَكَذِلْكَ يَرْفَعُهَا فِي الآخِرَةِ بِالعِلْمِ وَالإِيْمَانِ!)[14].

قال ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

[14] اختيار الأُولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (102-103). بتصرف

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ،

والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ

وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا

الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه.

عِبَادَ اللهِ: مَنْ تَرَكَ **الصُّحْبَةَ**

الصَّالِحَةَ، وَتَعَلَّقَ بِأَصْحَابِ

الدُّنيا الزَّائِلَةِ، وَالثَّرْوَةِ الزَّائِفَةِ؛

وَقَعَ فِي الغَفْلَةِ عَنِ الآخِرَةِ؛

فَضَاعَتْ أَعْمَارُهُ، وَغَابَتْ

أَهْدَافُهُ، وَانْفَرَطَ أَمْرُهُ، وَتَشَتَّتَ قَلْبُهُ، وَنُزِعَتْ البَرَكَةُ مِنْ وَقْتِهِ!

ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: [15] أَيْ

[15] قِيلَ: هُوَ مِنَ التَّفْرِيطِ الَّذِي هُوَ التَّقْصِيرُ والتضييع وَالعَجْزِ. وَقِيلَ: هو مِنَ الإِفْرَاطِ والإسرافِ وَمُجَاوَزَةِ الحَدِّ. انظر: تفسير القرطبي (10/ 392)، تفسير ابن جزي (1/ 264).

أَنَّ أَعْمَالَهُ وَأَفْعَالَهُ: سَفَهٌ

وَتَفْرِيْطٌ وَضَيَاع![16]

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ الَّذِي

يَنْبَغِي أَنْ يُصْحَبَ وَيُطَاع: هُوَ

مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ، وَخَالَفَ

[16] انظر: تفسير ابن كثير (5/ 139). قال ابنُ القَيِّم: (**وَمَنْ تَأَمَّلَ حَالَ الخَلْقِ؛ وَجَدَهُمْ - إِلَّا أَقَلّ القَلِيل - مِمَّنْ غَفَلَتْ قُلُوْبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ الله، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَفَرَّطُوا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ!**).
رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (6).

هَوَاه![17] قال ابْنُ القَيِّم: (مَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ: انْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَقَلْبُه، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَصَالِحِهِ![18] وَقَدْ نَهَى اللهُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الصِفَاتِ؛ فَيَنْبَغِي لِلْرَّجُلِ أَنْ يَنْظُرَ في

[17] انظر: تفسير السعدي (475).

[18] مفتاح دار السعادة (1/ 86). بتصرف

قُدْوَتِهِ: فَإِنْ وَجَدَهُ كَذَلِكَ:

فَلْيَبْعُدْ مِنْه، وَإِنْ وَجَدَهُ مِمَّنْ

غَلَبَ عَلَيْهِ ذِكْرُ اللهِ، وَاتِّبَاعُ

السُنَّةِ: فَلْيَسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ!)[19].

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَهَمِّيَّةُ **ذِكْرِ اللهِ**

بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَأَنَّ غَفْلَةَ

الإِنْسَانِ عَنْ اسْتِحْضَارِ الذِّكْرِ؛

[19] الوابل الصيب (41). باختصار

يَنْزِعُ البَرَكَةَ مِن الأَعْمَالِ وَالأَوقَاتِ؛ فَتَمْضِي الأَعْمَارُ بِلَا شَيءٍ يُذْكَر![20] يَقُوْلُ ابْنُ عُثَيْمِيْن: (إِذَا رَأَيْتَ وَقْتَكَ يَمْضِي، وعُمُرَكَ يَذْهَبُ، وَأَنْتَ لَمْ تُنْتِجْ شَيئًا مُفِيْدًا ولا نَافِعًا، وَلَمْ تَجِدْ بَرَكَةً فِي الوَقتِ؛ فَاحْذَرْ

[20] انظر: تفسير سورة الكهف، ابن عثيمين (62).

أَنْ يَكُوْنَ أَدْرَكَكَ قَوْلُهُ تَعَالى:

﴿ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلنا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمرُهُ فُرُطًا﴾)[21].

****

* اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والمُشْرِكِيْن.

---

[21] المصدر السابق (28).

❊ **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين.

❊ **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

❊ **عِبَادَ اللهِ:** ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ**

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

❊ فَاذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

❊ ❊ ❊ ❊

قَنَاةِ الخُطَبِ الوَجِيْزَة

https://t.me/alkhutab

❊ ❊ ❊ ❊